المباني الراسخة

بلاد الهرمَين — بلاد القصر وكرنك وندرة — بلاد البنيان الراسخة التي قاوت الدهر وصبرت على الايام — بلاد الف كل الفخيمة التي تعاقب عليها الملوك عاماً بعد عام وقرناً بعد آخر وهم يزيدونها بنياناً والقاناً هذه البلاد لا يحتاج اهلها الى مَن يصف لهم كيف تكون المباني الثابتة التي يخلّد بها مجد البلاد ويستعزُّ بذكرها ابناؤها

تعاقب على هذا القطر ملوك كثيرون من اهله ومن الغرباء وقد بقيت مبانيهم فيه من عهد الدول المصرية الاولى الى عهد اليونان والرومان وفي الاهرام والف كل والمدافن والمسلاّت والتماثيل . وكانت كثيرة في زمن الفتح الاسلامي وبقيت الى ما بعده حتى قال عبد اللطيف البغدادي انهُ لم يرَ ولم يسمع بمثلها. قال " ومن ذلك الآثار التي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقاً بها مهدوماً ويظهر من امرها انها قد كانت بيت عبادة. وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من فحيت الحجارة يكون طول الصنم منها زُهاء ثلثين ذراعاً واعضاؤهُ على تلك النسبة من العظم . وقد كان بعض تلك الاصنام قائماً على قواعد وبعضها قاعداً بنصبات عجيبة والقانات محكمة وباب المدينة موجود الى اليوم . وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلما ترى حجراً خالياً من كتابة او نقش او صورة . وفي هذه المدينة المسلتان المشهورتان وتسميان مسلتي فرعون وصفة المسلّة ان قاعدتهُ مربعة طولها عشر اذرع في مثلها عرضاً في نحوها متكأ قد وُضعت على اساس ثابت في الارض ثم اقيم عليها عمود مربع مخروط ينيف طولهُ على مائة ذراع يبتدئ من قاعدة لعلّ قطرها خمس اذرع وينتهي الى نقطة وقد نُبّس رأسها بقلنسوة نحاس الى نحو ثلث اذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر وطول المدّة واخضرّ وسالت من خضرته على بسيط المسلة ورأيت احدى المسلتين وقد خرّت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها . ثم ان حولها من المسالّ شيئاً كثيراً لا يحصى عددها ومقاديرها على نصف تلك العظمى او ثلثها "

ووصف الآثار التي كانت باقية تعهد في مدينة منف فقال " ان هذه المدينة مع سعتها ولقادم عيدها وتداول الملل عليها واستئصال الايام اياها من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها وافساد ابنيتها وتشويه صورها مضافاً الى ما فعلتهُ فيها اربعة آلاف سنة فصاعداً تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم الفطن المتأمل ويحصّر دون وصفهِ البليغ المفلق . وكل

زدته تأملاً زادك عجباً وكلما زدته نظراً زادك خبراً ومهما استنبطت منه معنى انبأك بما هو اغرب . ومهما استرت منه علماً دلك على ان وراءه ما هو اعظم "

وقد يظن قارئ هذه السطور من سكان القاهرة ان عبد اللطيف يصف مدينتين في الهند او في الصين ولا يخطر بباله ان الاولى منهما تبعد عنه ساعة من الزمان ولم يبق منها سوى مسلة المطرية والثانية جنوبي القاهرة على البر الغربي حيث مت رهينة ولم يبق منها الا تمثالان وبعض الحجارة اي ان ما شاده ملوك مصر في اربعة آلاف عام خربه ولاتها من ايام عبد اللطيف الى الآن

والى من تنسب هذا التخريب أإلى الفرس ام الى اليونان ام الى الرومان ام الى العرب ام الى الاتراك والاكراد والشراكسة . فالفرس هدموا اماكن وسنوا غيرها وهم اصحاب الايوان وعندهم المباني النادرة المثال فغرائب البناء وآثار الصناعة شأن كبير عندهم. واليونان والرومان ارباب البناء والنقش وعمل التماثيل وقد احتفظوا بما وجدوه في مصر وزادوا عليه كثيراً . والعرب هدموا بعضه لغرض ديني ولكنهم لم يفرطوا لان الشعوب السامية مولعة بالبناء والنقش ولو سكن العرب منهم الخيام . وهم بناة الحصون الشهيرة في بلادهم ومنها الابلق الفرد حصن السموأل بن عادياء اليهودي الذي يقول فيه

لنا جبلٌ يحتلُّهُ من نجيرهُ منيع يردُّ الطرف وهو كليلُ
راسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ الى النجم فرع لا يُنالُ طويلُ
هو الابلق الفرد الذي شاع ذكرهُ يعزُّ على من رامهُ ويطولُ

اما الذين جاؤوا بعدهم من ولاة مصر الى آخر ايام المماليك فاتلفوا آثارها القديمة ولم يتركوا فيها من آثارهم سوى مباني ضعيفة الاركان ولولا لجنة حفظ الآثار العربية لامسى اكثرها في خبر كان

ومما يقضي بالعجب ان القصور التي بناها بالامس من أنفق الملايين في هذا القطر خشب وطين تتخت من نفسها وتنهار واذا اصابتها النار في احد جوانبها امتدت الى الجانب الآخر باسرع من لمح البصر . واذا أهمل ترميمها بضع سنوات امست اثراً بعد عين. والمساجد التي بناها صلح من قصوره ولكنها كلها لا تصبر مئتي عام فاين هي من مباني الملوك الاقدمين التي شاب الدهر ولم تشب ولم يزدها كرور الايام الا رونقاً ومهابة بل اين هي من المباني الاوربية التي تقضي القرون في تشييدها وتبنى باصلب الحجارة حتى لا تقرضها اياب الدهر . اعتبر ذلك في كنيسة ميلان عروس الكنائس ومتحف النقش والتمثيل فقد وُضع

صاحبه منذ أكثر من خمس مئة سنة ومن ثمَّ فالآن والحكومة والامة والصناع يبذلون جهد المستطيع في بنائه وترميمه وقد انفقوا عليه ولكنهم لم يتموا التهايل وسيمضي القرن التاسع عشر وربما ينقضي القرن العشرون يقدَّر فيه ان يقوم الصناع كل يوم بعمل الآن ٣٤٠٠ تمثال و ٦٠٠٠ آلاف صورة بارزة غير التهايل وصور ربعة آلاف نوع من الازهار وكلها منقوش في الرخام الوزين فاحت فقائمة الى الآن اثنين وعشرين مليوناً من الجنيهات وقد وصفناها بشيء من الاسهاب لما رزناها منذ خمس سنوات وقلنا فيها حينئذٍ

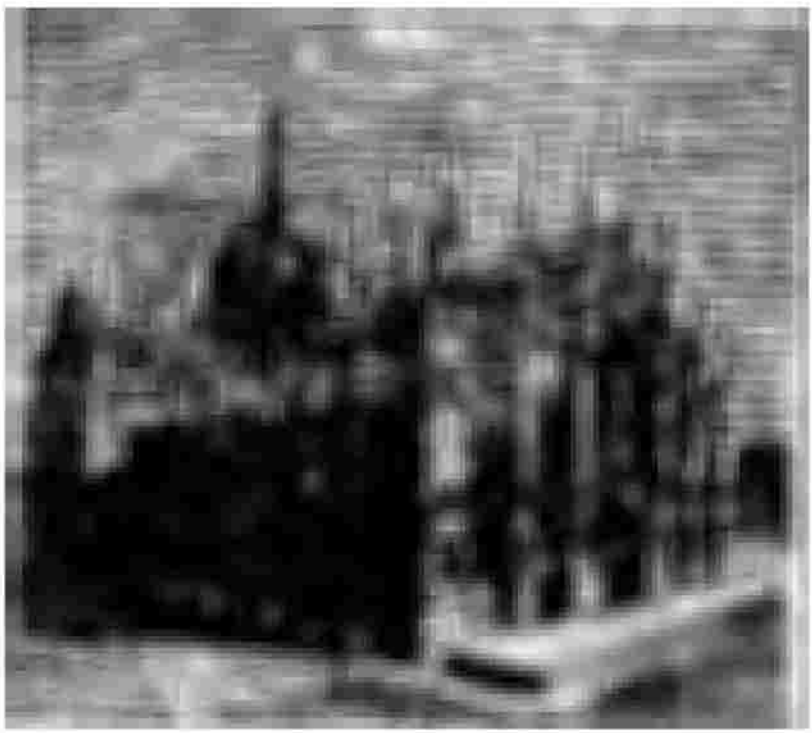

كنيسة ميلان الزمخة

هذي عروس المباني في مطارفها ... تيهُ عجباً بما فيها من الطُّرَفِ
اني بنو الدهر الآ ان تكون لهم ... ذخراً لجادوا لها بالنفس والنفَسِ
وجاء صانعيه حقُّ الغيرة في ... تحت التهايل والأصناف والشُّرَفِ
وكم دهورٌ ولم تخلدْ لها همَمٌ ... وكم عبرٌ في حفنة الصدف
ولا ترى عملاً تقضي السنون به ... الاَّ اذا جاءهُ الانسان عن شغفِ

وأكثر الكتبة الكبيرة والقصور العظيمة في اوربا من هذا القبيل يتعاقب على تشييدها الملوك عاماً بعد عام وقرناً بعد آخر كما نبهنا بضعة من ملكهم وكما نهم يشترون ثبوت عروشهم ابد الادهار . فيشرع الواحد منهم في بناء وهو يعلم انهُ لا يتم في عصره ولا عصر ابنه ولا ابن ابنه لكنهُ يحب انهُ يتم في عهد سرتهم او يبقى البلاد ميرة دائمة وتراثاً خالداً . كذا كان يفعل ملوك مصر الاقدمون حين كان يشرع احدهم في بناء هيكل عظيم او في بعده ضفاوة وكل منهم يبني جانباً منهُ الى ان يتم بعد مئات من الاعوام . اولئك كانوا يعملون لانفسهم

برج بولونيا

وبلادهم ولا يكتفون بالزخرفة الظاهرة ولا يبنون بالخشب والطين ولا بالحجارة الكلسية السريعة التفتت كاكثر القصور والمساجد في هذا القطر

ثم ان المباني الاوربية وثيقة البنيان شديدة الاحكام حتى لقد تخسف بها الارض فتبين ولا تنصدع كما في برج بيز وبرجي بولونيا المرسومين في الشكل الاتي وهما من الابنية القديمة الشاهقة ولكن وثوق بنيانهما حفظهما من السقوط فكانهما عنوان العظمة الحقيقية التي تبقيها غير الزمان وتحميها نوائب الحدثان ولكنها تبقى راسخة لرسوخ صنعها على قواعد ثابتة الاركان

ولا مشاحة ان الدين فضل زائل وكل ما عليها فان ولكن الانسان ما وُجد لينقاد صاغراً الى هذا الشاء ولا ليزيدهُ اصراعاً بل هو حيٌّ ويطلب الحياة وان مات كفرد من مجتمع فما هو الاَّ دقيقة صغيرة من دقائق هذا المجتمع تموت ليقوم غيرها مقامها والمجتمع حي الى ما شاء الله. فمن استطاع ان يبقي اثراً يستعزُّ به الخلف ويستفيد منهُ فهو حريٌّ بذلك ويعاب عليهِ ان يبقي اثراً زائلاً يمحى سريعاً او يتقوَّض ويتلف

مدينة منف

بقلم حضرة احمد بك كمال الامين الوطني المساعد في المتحف المصري

تمهيد

تكوَّنت بلاد مصر من طمي النيل فكان يأتي من اعلى السودان وترسب منهُ الرواسب من اصوان الى تل بنها العسل. وتمادى ورودهُ حتى تكوَّن منهُ الوجه البحري وزرعت اراضيهِ ولذا قال عنهُ هيرودوتس اليوناني انهُ هدية من النيل. ثم تفرَّع النيل فيهِ الى ثلاثة فروع وهي الفرع الكانوبي اي فرع ابي قير والفرع البالوزي وهو فرع دمياط والفرع السبنيتي وهو فرع صنود بين الفرعين السابقين. وكان هذا الاخير يقسم مثلث الدلتا اي الوجه البحري الى قسمين متساويين وذلك على مقربة من قرية قديمة تعرف باسم كركسور بجوار امبابه على ستة كيلومترات من القاهرة. ولما طمَّ فرع دمياط زال انقسام المثلث تقريباً بانتقال هذا الفرع الى الجهة المنخفضة على بعد ١٥ كيلومتراً. وكانت تلك الفروع الثلاثة تجتمع في ملتقى يخرج منهُ رياحات وجداول وتجار بعضها طيبي والبعض صناعي وكانت تارة تتسع وتارة تضيق وطوراً تعمق وطوراً تمد واحياناً تنتقل وتتشعب الى فروع تجري في الوجه البحري وترسب فيهِ الطمي حتى اصبحت اراضيهِ خصبة وصارت حدود مصر من الجهة البحيرة البحر الابيض المتوسط ومن الجهة الجنوبية بلاد السودان ومن الشرقية جبال العرب ومن الغربية جبال ليبيا او برقة وهاتان السلسلتان من الجبال تتقاربان بين اصوان واسنا حتى تكادا تتلاصقان ثم تأخذان في الانفراج كلما امتدتا الى الشمال حتى تصلا الى امام القاهرة فتتجه احداهما الى الشمال الشرقي حتى تنتهي بهضبات الشام وتتجه الثانية الى الشمال الغربي حتى تنتهي بجبال المغرب ويجري النيل بينهما متشعباً في اراضي مصر فيرويها ثم يصب في البحر الابيض. فمصر كانت ولا تزال ارضاً زراعية ابتدأ تكونها في الوادي الممتد من جبل السلسلة الى الدلتا ثم اخذت تتكون